

فضائل القرآن

من لم يتغن بالقرآن .

وقول ا [تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم } .

حدثنا يحيى بن بكير : ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني أبو سلمة بن

عبدالرحمن عن أبي هريرة رضى ا [عنه أنه كان يقول : قال رسول ا [؟ .

[لم يأذن ا [لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن] وقال صاحب له : يريد يجهر به فرد من

هذا الوجه ثم رواه عن على بن عباد [بن المدينى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى به قال

سفيان : تفسيره يستغنى به .

وقد أخرجه مسلم والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ومعناه أن ا [تعالى ما استمع لشيء

كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك أنه يجتمع فى قراءة الأنبياء طيب الصوت

لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية فى ذلك وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد

كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضى ا [عنها : سبحان الذى وسع سمعه الأصوات ولكن

استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى { وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من

قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه } الآية ثم استماعه لقراءة

أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم ومنهم من فسرالاذن ههنا بالأمر والأول أولى

لقوله : .

[ما أذن ا [لشيء ما أذن لنبي يتغن بالقرآن] أى يجهر والاذن الاستماع لدلالة السياق

عليه وكما قال تعالى { إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت

ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت } أى استمعت لربها وحقت أى وحق لها أن تستمع أمره

وتطيعه فالاذن ههنا هو الاستماع ولهذا جاء فى حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن

عبيد قال : قال رسول ا [A : [أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب

القينة إلى قينته] .

وقول سفيان بن عيينة أن المراد بالتغنى به فان أراد أنه يستغنى به عن الدنيا وهو

الظاهر من كلامه الذى تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره فخلاف الظاهر من مراد الحديث

لأنه قد فسر بعض رواياته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها قال حرمله سمعت ابن عيينة

يقول معناه يستغنى به فقال لى الشافعى ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى إنما هو

يتحزن ويترنم به قال حرمله وسمعت ابن وهب يقول : يترنم به وهكذا نقل المزنى والربيع عن

الشافعى C .

وعلى هذا فتصدير البخارى الباب بقوله تعالى { أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون } فيه نظر لأن هذه الآية ذكرت ردا على الذين سألو آيات تدل على صدقه حيث قال { وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عندنا وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم { الآية ومعنى ذلك أو لم يكفهم آية دالة على صدقك إنزالنا القرآن عليك وأنت رجل أُمي { وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتلون } أى وقد جئت فيه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من التغنى بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر .
فصل .

فى إيراد أحاديث فى معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات .
قال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن على بن رباح اللخمي عن عقبه بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن فى المسجد نتدارس القرآن قال : [تعلموا كتاب الله ﷻ واقتنوه - قال : وحسبت أنه قال وتغنوا به - فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفلتا من المخاض العقل] وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن على عن أبيه عن عقبه بن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال : [واقتنوه وتغنوا به] ولم يشك .

وهكذا رواه النسائي فى كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن على عن أبيه به ومن حديث عبد الله بن يزيد المقرئ عن قباث بن رزين عن على ابن رباح عن عقبه - وفى بعض ألفاظه : [خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارئ] وقال أبو عبيد : ثنا أبو اليمان عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى مريم المهاجر ابن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ : [يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون] وهذا مرسل ثم قال أبو عبيد : قوله تغنوه أى اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الإقلال معه فقرا وقوله وتقنوه يقول : اقتنوه كما تقتنوا الأموال إجعلوه ما لكم .

وقال أبو عبيد : حدثنى هشام بن عمار بن يحيى بن حمزة عن الأوزاعى قال : حدثنى إسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبى A قال : [أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته] .

قال أبو عبيد : هذا الحديث بعضهم يزيد فى إسناده يقول عن إسماعيل عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد سعيد بن أبى راشد عن الوليد عن الأوزاعى عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبى A : [أشد أذنا إلى الرجل

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى فينته [.

قال أبو عبيد : يعنى الاستماع وقوله فى الحديث الاخر [ما أذن ا [لشدء [أى ما استمع .
وقال أبو القاسم البغوى : حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبدا [بن
عبدالرحمن بن أبى مليكة حدثنا القاسم بن محمد حدثنى السائب قال : [قال لى سعد : يا
ابن أختى هل قرأت القرآن ؟ قلت : نعم قال : غن به فإنى سمعت رسول ا [يقول : غنوا
بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدرؤا على البكاء فتباكوا [.
وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبدا [بن أبى مليكة عن عبدا [بن أبى نهيك عن سعد
بن أبى وقاص قال : قال رسول ا [: .

[إن هذا القرآن نزل يحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكو فتباكوا وتغنوا به فمن لم
يتغن به فليس منا [وفى الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه وا [أعلم .
وقال أبو داود : ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبدالجبار بن الورد قال : [سمعت ابن أبى
مليكة يقول : قال عبدا [بن أبى زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا
عليه فإذا رجل رث البيت رث الهيئة (فانتسبنا له فقال : تجار كسبة) فسمعته يقول :
سمعت رسول ا [يقول : ليس منا من لم يتغن بالقرآن [قال : فقلت لابن أبى مليكة يا أبا
محمد رأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال : يحسنه ما استطاع تفرد به أبو داود فقد فهم من
هذا أن السلف رضى ا [عنهم إنما فهموا من التغنى بالقرآن إنما هو تحسين الصوت به
وتحزينه كما قال الأئمة رحمهم ا [ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال : ثنا
عثمان بن أبى شيبه ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب
قال قال رسول ا [: [زينوا القرآن بأصواتكم [.

وأخرجه النسائى وأبن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا اسناد جيد وقد وثق النسائى وابن
حبان عبدالرحمن بن عوسجة هذا ونقل الأزدي عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال : سألت عنه
بالمدينة فلم يحمده .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث
بهذا الحديث [زينوا القرآن بأصواتكم [قال أبو عبيد : وانما كره أيوب فيما نرى أن
يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول ا [فى الألحان المبتدعة فلهذا نهاه أن يحدث
به (قلت) : ثم إن شعبة C روى الحديث متوكلا على ا [كما روى له وولو ترك كل حديث
يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن
وحملوها على محاملها الشرعية المرادة وب [المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا
ب [والمراد تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير
تقى بن مخلد C حيث قال : ثنا أحمد بن ابراهيم عن أبى موسى عن أبيه قال : [قال لى رسول

□ A ذات يوم : يا أبا موسى لو رأيتنى وأنا أستمع قراءة تك البارحة قلت أما وا □ لو علمت أنك تسمع قراءة تى لحبرتها لك تحبيرا [.

رواه مسلم من حديث طلحة به وزاد [لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود] وسيأتى هذا فى - بابه حيث يذكره البخارى والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا فدل على جواز تعاطى ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام : قد أعطى صوتا حسنا - كما سأذكره إن شاء الله - مع خشية تامة ورقة أهل اليمن فدل على أن هذا من الأمور الشرعية قال أبو عبيد : حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلى بنا فلو قلت أنى لم أسمع صوت صنع قط ولا يربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

وقال ابن ماجه : حدثنا العباس بن الدمشقى ثنا الوليد بن مسلم حدثنى حنظلة بن أبى سفيان أنه سمع عبدالرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت : [ابطأت على رسول الله ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك مثل قراءته وصوته من أحد قالت : فقام فقامت معه حتى أستمع له ثم التفت إلى فقال : هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد الذي جعل فى أمتى مثل هذا] إسناده جيد وفى الصحيحين عن جبير بن مطعم قال : [سمعت رسول الله يقول فى المغرب بالطور فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه وفي بعض ألفاظه فلما بلغ هذه الآية { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون } كاد قلبى أن يطير وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركا على دين قومه وإنما كان قدم فى فداء الأسارى بعد بدر وناهيك بمن تؤثر قراءته فى المشرك المصر على الكفر هذا سبب هدايته ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع القلب كما قال أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم □ وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أى الناس أحسن صوتا بالقرآن ؟ فقال : الذى إذا سمعته رأيتته يخشى الله □] .

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضيرى ثنا عبد الله بن جعفر المدينى ثنا إبراهيم بن اسماعيل بن مجمع عن الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله □] ولكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد على بن المدينى - وشيخه ضعيفان وا □ أعلم والغرض أن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبير القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والإنقياد للطاعة فأما الأصوات بالنعمة المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية

